

الغرب والمخطوطات العربية: قراءة في تجربة

علاوة عمارة*

ملخص

عرف الغرب المخطوطات العربية منذ توسعه العسكري والتجاري بداية من نهاية القرن العاشر الميلادي. وقد ارتكز الاهتمام الفعلي الأول بالتراث العربي المخطوط من خلال تشكيل مجموعات من الكتب المخطوطة بداية من القرن السادس عشر الميلادي. لقد شكلت المخطوطات العربية وسيلة مهمة لدراسة وفهم الإسلام، ولكن بداية من القرن التاسع عشر تمت تدريجيا عملية فهرسة المخطوطات لتسهيل وتحديد أماكن تواجدها في العالم، وهذا تحت تأثير الكوديكولوجيا. لقد كان لعلم تاريخ النصوص مكانة مهمة في توجه الدراسات الخاصة بالمخطوطات العربية في القرن العشرين.

مقدمة

الحديث عن التجربة الغربية في ميدان التعامل مع المخطوطات العربية يقودني إلى التطرق لفترة تاريخية تتعلق بعلاقة الغرب الفكرية مع عالم الإسلام والتي عرفت باسم الاستشراق بداية من سنة 1799⁽¹⁾. وقد فضلت توسيع مجال الاستشراق الكلاسيكي ليشمل العالم الغربي بما يحمله هذا المصطلح من معنى إيديولوجي ليشمل كذلك الشعوب المندمجة في فلك الحضارة الغربية من خارج القارة الأوروبية. وبما أن الموقف من الاستشراق قد تراوح بين الرفض والتردد وأحيانا القبول من طرف التيارات الفكرية في العالم الإسلامي، فإن الموقف الغربي منه لم يكن كذلك إلى غاية أن أصدر الباحث الأمريكي ذو الأصول الفلسطينية إدوارد سعيد كتابه الشهير الموسوم بـ "الاستشراق" سنة 1978، والذي أثار ضجة وردود أفعال لأقطاب الاستشراق وعلى رأسهم برنارد لويس (Bernard Lewis)، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة برنستون (Princeton University) وماكسيم رودنسون (Maxime Rodinson)، الباحث البارز في ميدان الدراسات الإسلامية بفرنسا، حول الخلفيات الحقيقية لاهتمام الإنسان الغربي بدراسة الشرق الإسلامي. وبما أن الاستشراق هو وليد المركزية الأوروبية فإنه اعتمد على خطاب المتفوق (un discours triomphaliste) لتسهيل إدارة الأهالي المسلمين من طرف الحكومات الاستعمارية. إنه أراد حسب تعبير عبد الله العروي - "تشويه صورة الإسلام والروح العربية وتبرير السيطرة السياسية

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2009.

* كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر.

الأوروبية بطريقة غير مباشرة"⁽²⁾. لقد تباينت صورة هذا الشرق - المرسوم من طرف الغرب بحسب تعبير إدوارد سعيد - في التيارات المهتمة به في البلدان الغربية: بين التركيز على سلبيات تاريخ الإسلام كما بدا ذلك عند أغلب المستشرقين الأنجليز، وبين التقليد العدائي والتجديد في الاستشراق الفرنسي، وسيطرة رواسب المركزية الأوروبية في الاستشراق الأمريكي، وتعدد اتجاهات الاستشراق الألماني بسبب عدم تورط ألمانيا في احتلال دول العالم الإسلامي من جهة وتقارب ألمانيا النازية في موقفها من اليهود مع بعض الآراء العربية⁽³⁾. لكن أزمة الاستشراق الكلاسيكي بسبب انتهاء مبررات وجوده الاستعمارية مع استقلال الدول الإسلامية وازدياد وزن العلوم الاجتماعية والإنسانية أدت إلى ظهور جيل جديد ممن يهتمون بدراسة الشرق وفق رؤية جديدة أكثر علمية تعتمد أساسا على مقاربات مستوحاة من علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والإثنولوجيا⁽⁴⁾، ولكن بدون إحداث قطيعة مع الاستشراق الكلاسيكي، لخضوعه في كثير من الأحيان لدوائر سياسية وفكرية، كما يقع الآن مع كثير من المستشرقين الأمريكيين المهتمين خصوصا بالفترة النبوية.

إن الاستشراق المعاصر باعتباره ظاهرة ثقافية اكتسب صفة الموسوعية الأوروبية في محاولة معرفة الآخر أملا في فهم صيرورته التاريخية ومن ثم احتوائه وتوجيهه وفق المنظومة الفكرية الغربية⁽⁵⁾. ولهذا نجده يتعامل مع التراث العربي المخطوط منه خصوصا منذ أزيد من ستة قرون وفق مناهج مختلفة تماشيا والتطور العلمي والتقني الحاصل. سأحاول هنا إبراز هذه المحاولات التي تجرني إلى الحديث عن أهم المراحل التاريخية لتعامل الغرب مع المخطوطات العربية اعتمادا أساسا على أهم إنتاج **المستشرقين** في هذا المجال وعلى خبرتي المكتسبة من خلال تكويني في مرحلة تحضير الدكتوراه بباريس وعلاقتي بأهم المراكز المختصة في المخطوطات العربية بفرنسا وهي: معهد البحث وتاريخ النصوص (IRHT) التابع للمركز الوطني للبحث العلمي (CNRS)، والمكتبة الوطنية الفرنسية (BNF) قسم المخطوطات الشرقية وكذلك القسم العربي من مكتبة معهد اللغات الشرقية⁽⁶⁾ (INALCO).

المخطوط: مصدر لمعرفة الآخر

لقد عرف الغرب المخطوط العربي في فترة مبكرة اقترنت بالاتصالات الثقافية بين حضارة الإسلام وبلاد الإفرنج، وقد سمح هذا بانتقال العديد من المخطوطات العربية إلى مدن فرنسا وإيطاليا أهمها مخطوطة كتاب الطب لابن الجزار القيرواني (ت 974/363) التي نقلها وترجمها إلى اللاتينية قسطنطين الإفريقي خلال نهاية القرن العاشر الميلادي. وتلا ذلك ترجمة العديد من مؤلفات ابن سينا وابن رشد وغيرهما إلى اللغة اللاتينية. لقد زادت الحاجة إلى معرفة الآخر في أوروبا مع بدايات عصر "النهضة" وأصبحت محاولة معرفة الإسلام تثير الاهتمام. لقد كانت

البداية بوصف دار الإسلام بداية من القرن الخامس عشر: رحلات الحج إلى القدس، ووصف ساحل الشام والمغرب⁽⁷⁾.

لقد شجعت العلاقات السياسية والتجارية بين فرنسا والباب العالي وتوطيد العلاقات بين البابوية ومسيحيي المشرق على **رواج** الدراسات العربية بالعواصم الأوروبية⁽⁸⁾: فغليوم دو بوستال (Guillaume de Postel) فتح أول قسم للعربية بـكولاج دو فرانس (Collège de France) بباريس سنة 1539، ورافلونغي (Ravlonghien) بدأ بتدريس اللغة العربية في لايدن (هولندا) (Leyde/Leiden) سنة 1573، ودشن إدوارد بوكوك (Edward Pococke) قسم اللغة العربية بجامعة أكسفورد (Oxford) ببريطانيا سنة 1638. لقد استغلت العربية في خدمة المسيحية ضد الإسلام وفي محاولة التعريف بعالم الإسلام. لكن التعامل الواسع مع التراث العربي المخطوط بدأ في مرحلة انطلاق المسيحية الغربية لاكتشاف واحتلال عالم الإسلام، عندما بدأ الرحالة ورجال الأعمال المسيحيون في اقتناء العديد من المخطوطات العربية وحفظها في مكتبات خاصة وعامة بالغرب المسيحي، من بينها مكتبة البودليان (Bodleian Library) التي ضمت مئات المخطوطات، عشرون منها في التاريخ، استغلها بوكوك (Pococke) في كتاباته ونشر منها أربعة مخطوطات تاريخية مثل الجزء الثاني من تاريخ ابن مكي (ليدن 1625)، وعجائب المقدور لابن عرب شاه (ليدن 1636)⁽⁹⁾.

وتعتبر هذه المرحلة بمثابة الفترة الأولى الأهم من حيث الاستعمال الواسع للمخطوطات العربية في كتابة تاريخ الشرق الإسلامي، ويعتبر كتاب تاريخ العرب (Historia Saracenica) للهولندي أربينوس (Erpenius, m. 1624)، وكتاب تاريخ السلالات (Historia dynastiarum) لبوكوك من أهم ما كتب عن تاريخ العرب في تلك الفترة، خصوصا أن الكتاب الثاني يغطي فترة سبعة قرون من تاريخ الإسلام بوصوله إلى العهد المغولي، وباستغلاله لأكثر من سبعين مخطوطا عربيا من بينها معاجم لغوية كالصاح للجوهري والقاموس للفيروزآبادي. واستمرت حركة استغلال المخطوط العربي كمصدر للمعرفة التاريخية خلال الفترات اللاحقة بما في ذلك عصر التنوير الفرنسي الذي خلق مناخا ملائما للبحث عن معرفة الآخر⁽¹⁰⁾. كما استمرت عملية طبع المخطوطات العربية بعدة مدن أوروبية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين وهذا بارتكاب الكثير من الأخطاء المطبعية والنحوية إلى غاية منتصف القرن الثامن عشر حيث أدى ظهور علم نقد النصوص إلى طبع المزيد من المخطوطات العربية وبكيفية أكثر علمية⁽¹¹⁾.

المخطوطات: من الاقتناء إلى الفهرسة

نتج عن احتلال معظم أجزاء العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين اقتناء المزيد من المخطوطات العربية والفارسية والتركية وبهذا أصبحت المكتبات الكبرى في العواصم الأوروبية تزخر بألاف المخطوطات المكتوبة على الجلود وأوراق البردي والغالبية العظمى على الورق بعد الاستعمال الواسع لهذه المادة بداية من القرن الثاني الهجري⁽¹²⁾. وبهذا أصبحت مكتبات باريس وبرلين ولندن والأسكوريال والفاتيكان وموسكو من أهم مراكز توزيع المخطوطات العربية في الغرب. ولتسهيل عملية استغلالها وضعت لها فهرس خاصة وعامة.

يعتبر كتاب تاريخ الأدب العربي للألماني كارل بروكلمان⁽¹³⁾ ويرمز إليه عادة بـ GAL بمثابة الفهرس العام الذي يمكن الباحثين من تحديد مكان توزيع المخطوطات العربية في أهم المكتبات العمومية في العالم، وقدر صدر بين 1902 و1942.

- Carl Brockelmann, *Geschichte der Arabischen Literatur*, 2 vol. Leiden, 1902-1932 ; supplément, 3 vol. 1937-1942.

نشر كارل بروكلمان كتابه لأول مرة سنة 1902 في جزأين ونظمه بطريقة معقدة وفكر في إعادة ترتيبه، لكن صعوبات إعادة طبعه حالت دون ذلك، وهذا ما جعله يلحق به ثلاثة مجلدات أخرى أدخل فيها تصحيحات الطبعة الأولى، ثم نقح الطبعة الأولى ونشرها، ولهذا فإنه يجب تصفح الطبعة الثانية مع الملحق المكون من ثلاثة مجلدات. ويعتبر "تاريخ الأدب العربي" من أهم الفهارس الغنية والجامعة حول المخطوطات العربية، لكنه ناقص في بعض المجالات لاستحالة التأكد من صحة المعلومات المقدمة من طرف مؤلفه لاعتماده على معطيات غير دقيقة أحياناً⁽¹⁴⁾. ولهذا فقد أخرجه بوجه جديد وبتعليقات أفضل وبتركيز أعمق فيما يخص القرون الهجرية الأربعة الأولى الألماني-التركي فؤاد سيزكين في موسوعته الموسومة بـ "تاريخ التراث العربي"، ويرمز له بـ GAS.

- Fuad Sezgin, *Geschichte des Arabischen Schrifttums*, Leyde, Brill, IX vol. 1967-1984.

إضافة إلى هذين الفهرسين حول المخطوطات العربية، فقد تم إنجاز عدة فهرس متخصصة حول المخطوطات العربية الإفريقية وكذلك المخطوطات العربية المسيحية والمخطوطات المتخصصة في علم من العلوم أو فرقة من الفرق الإسلامية أو فهرس خاص بمكتبة معينة.

- Moritz Steinschneider, *Polemische und apologetische Literatur in arabischer Sprache zwischen Muslimen, Christen und Juden*, Leipzig, 1877.

- Georg Graf, *Geschichte der christlichen araboschen Literatur*, Citta del Vaticano, 5 vol., 1944-1953.
- Gerard Le Troupeau, *Les manuscrits arabes chrétiens*, Paris, Bnf, 1975.
- Michael Breydy, *Geschichte der syro-arabische Literatur der Maroniten von VII-XIV jhdt*, Opladen, 1985.
- J. O. Hunwick, *The Wrintigs of Central Sudanic Africa*, 1995, dans la collection *Handbuch der Orientalistik, Arabic Literature of Africa*, Leiden, E. J. Brill.
- Adam Gacek, *Catalogue of Arabic Manuscripts in the Library of the Institute of Ismaili Studies*, Londres, Islamic Publications, 1984.

كما أنجزت ثلاثة أدلة لفهارس مكنتات المخطوطات العربية في العالم مماثلة لفهرس عواد حول المخطوطات العربية في العالم (الكويت، 1984)، لكن الأهم يبقى بدون شك الدليل الذي أشرف عليه جيوفروي روبر (Geoffrey Roper) ونشرته مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن في بداية التسعينات. ويتطرق هذا الدليل لتصنيف كل المكنتات التي تحتفظ بالمخطوطات العربية في كل دول العالم تقريبا وذكر لفهارسها. وإذا كان هذا العمل يستحق كل التنويه، فهناك نقائص كثيرة وأخطاء في ذكر المكنتات لاعتماد القائمين على هذا الدليل على أقلام غير متخصصة أحيانا في وصف التراث المخطوط لبعض الدول. وينطلق الفهرس المرتب ترتيبا أبجديا من إيراد قائمة بيبليوغرافية مرتبة زمنيا للفهارس الخاصة بالدولة موضوع الدراسة، ثم وصف لكل مكتبة: طبيعة المكتبة عمومية أم خاصة، وشروط الاستقبال، وعدد المخطوطات، وصف قصير وعام لمواضيع المخطوطات وقيمتها العلمية والتراثية.

- *World Survey of Islamic Manuscripts*, edited by Geoffrey Roper, London, Al-Furqan Islamic Heritage Foundation, 1992-1994.

وسبق دليل مؤسسة الفرقان، فهارس قديمة تتعلق كذلك بتحديد فهارس المخطوطات العربية في العالم ومن هذه الفهارس نجد ما ألفه جورج فاجدا، المدير الأسبق للمكتبة الوطنية بباريس حول فهارس المخطوطات العربية وكذلك بيبليوغرافية فهارس المخطوطات العربية في العالم التي نشرها ويسمان عام 1967:

- Georges Vajda, *Répertoire des catalogues et inventaires de manuscrits arabes*, Paris, 1949.
- A. Huisman, *Les manuscrits arabes dans le monde: une bibliographie des catalogues*, Leyde, 1967.

جدول لأهم التجمعات الكبرى للمخطوطات العربية في الغرب⁽¹⁵⁾

البلد	أقدم تاريخ للجمع	عدد المخطوطات	أهم المكتبات
بريطانيا	1637-بوكوك	أكثر من 10000	مكتبة تشتربيتي: 1500 البودليان: 400 مكتبة المتحف البريطاني: أكثر من 5000 متحف فكتوريا: 2000 معهد الدراسات الإسماعيلية: أكثر من 350.
فرنسا	لويس XIV ق 17م	أكثر من 10000	المكتبة الوطنية: 7200 معهد اللغات الشرقية: 1000
إسبانيا	كامل الفترة الوسيطة	؟	دير الإسكوريال: 2000 المكتبة الوطنية: 606 مكتبة غرناطة مكتبة طليطلة مكتبة جامعة اشبيلية
ألمانيا	ق 18م	؟	مكتبة برلين 10000
إيطاليا	ق 15	15000	أمبروزانا بميلانو: 2500 الفاتيكان: 2696
الولايات المتحدة الأمريكية	الحرب العالمية 1	50000	جامعة كاليفورنيا: 7000 جامعة برنستون: 6000 مؤسسة هارتفورد: 12000 مكتبة الكونغرس: 1700 جامعة بيل: 800 جامعة كولومبيا: 500
روسيا	ق 18	أكثر من 15000	معهد الدراسات الشرقية بموسكو: 10822
بلغاريا	الفترة العثمانية	3000	مكتبة كبريل مكتبة ميتودي
هولندا	ق 17	؟	مكتبة ليدين
النمسا	ق 18	؟	المكتبة الوطنية بفيينا

وتوجد العديد من فهارس المخطوطات بالمكتبات الأوروبية والأميركية التي أنجزت طوال القرنين الماضيين خصوصا فهرس مكتبة الاسكوريال والمكتبة الوطنية بباريس. ويعتبر فهرس مكتبة الأمبروزانا في ميلانو من أحسن الفهارس إنجازا وإخراجا، فقد تكفل بإنجازه كل أوسكار لوفجرن (Oscar Löfgren) ورناتو ترايني (Renato Traini)، ولكن للأسف بدون إتمام الفهرسة الكاملة لجميع المخطوطات التي تمتلكها المكتبة.

- Oscar Löfgren and Renato Traini, *Catalogue of the Arabic Manuscripts in the Biblioteca Ambrosiana*, Neri Pozza Editore, 1992.

ويمكن الإشارة كذلك إلى فهرسين هاميين لمخطوطات مكتبة الفتيكان والمكتبة الجامعية في براتنسلافيا. فقد نشر كارلو ألبرتو أنزويني (Carlo Alberto Anzuini) فهرسا لمخطوطات القرآن الكريم بمكتبة الفاتيكان وبالمكتبة الرومانية. ونشرت المكتبة الجامعية ببراتنسلافيا فهرس مخطوطاتها الإسلامية الذي يضم مخطوطات عربية وتركية وفارسية، وهذا عام 1961.

- Carlo Alberto Anzuini, *I Manoscritti Coranici della Biblioteca Apostolica Vaticana e delle Biblioteche Romane*, Città del Vaticano, Biblioteca Apostolica Vaticana, 2001.

- *Arabiche, Türkische und Persische Handschriften der Universitätsbibliothek in Bratislava*, Bratislava, Die Universitätsbibliothek, 1961.

ومن الفهارس المهمة نجد أيضا فهرس مخطوطات مكتبة دوبلين (Dublin) الذي أعده ونشره أرتور أربيري (Arthur J. Arberry)، أستاذ الدراسات العربية بجامعة كامبريدج في الستينات من القرن الماضي، والذي تجاوز فيه رقم الخمسة آلاف من المخطوطات العربية.

- Arthur J. Arberry, *A Handlist of the Arabic Manuscripts*, Vol. VI, mss. 4501-5000; Dublin; Hodges, Figgis and CO, 1963.

كما نجد العديد من فهارس المكتبات العربية والإفريقية التي نشرت من طرف مستشرقين ألمان وفرنسيين ومن ذلك الفهارس التي نشرها المستشرق الألماني أولريك روبشتوك (Ulrich Rebstock) حول مخطوطات موريطانيا:

- Ulrich Rebstock, *Sammlung arabischer Handschriften aus Mauretanien*, Wiesbaden, Otto Harrassowitz, 1989.

- Ulrich Rebstock, R. Osswald und A. Wuld 'Abdalqadir, *Katalog arabischer Handschriften aus Mauretanien*, Beirut, 1988.

وتتعاون مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن مع العديد من المستشرقين المختصين في التراث العربي المخطوط إما بالفهرسة مباشرة أو مراجعة وتقديم الفهارس المنجزة من طرف

الخزائن الخاصة في البلدان الإسلامية، ومن ذلك تحرير جوليان يوهانسين⁽¹⁶⁾ لفهرس مخطوطات مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتنكبكتو الذي أعده سيدي عمر بن علي ونشرته مؤسسة الفرقان عام 1995. وكذلك فهرس مخطوطات دار الوثائق القومية النيجيرية بكادونا، الذي أعده بابا يونس محمد وحققه وأتم حواشيه جون هنويك ونشر ضمن سلسلة الفهارس النيجيرية التي تشرف عليها مؤسسة الفرقان **للتراث الإسلامي**⁽¹⁷⁾.

التوجهات الجديدة في ميدان المخطوطات العربية

يعتبر معهد البحث وتاريخ النصوص⁽¹⁸⁾ (IRHT) بباريس من أهم المراكز الغربية المعاصرة في المخطوطات العربية، ومهمته دراسة النصوص التراثية لعالم الإسلام، كما يهتم كذلك بجمع المخطوطات وتصويرها، وهو ما يجعله يشترك في هذه المهمة مع معهد المخطوطات العربية في القاهرة.

في ميدان نشر المخطوط بشكله الأصلي (édition fac-similée) والنصوص الجغرافية والموسوعية التي تجلب خصباً من تركيا ومصر، يحتل مركز تاريخ العلوم العربية بفراנקفورت (Institut für Geschichte der arabisch-islamischen Wissenschaften) الريادة في هذا المجال، والذي يشترك في هذا الدور مع مركز نشر مخطوطات إيران الكائن بطهران. ويأتي مركز كراز النمساوي (Akademische Druck und Verlagsanstalt - ADEVA-Graz) في المرتبة الثانية من حيث الأهمية نظراً لاهتمامه بنشر مخطوطات المكتبة الوطنية بفيننا (Vienne).

من بين المجالات الغربية المتخصصة في نشر المخطوطات العربية- كما هو عليه الحال بالنسبة لمجلة معهد المخطوطات العربية (1955) نجدها خصوصاً في هولندا وروسيا وفرنسا. وتعتبر مجلة المخطوطات الشرقية الصادرة بسان بيترسبورغ الروسية (St. Petersburg) من أهم المجالات المتخصصة في المخطوطات العربية. وتصدرها الجمعية الروسية الآسيوية برئاسة إيفيم رازفن (Efim A. Rezvan).

- *Manuscripta Orientalia, International Journal for Oriental Manuscript Research*-Saint Petersburg. 1995-2006

وتجدر الإشارة كذلك إلى دوريتين متخصصتين تصدران على التوالي بلايدن (هولندا) وباريس وهما: مخطوطات الشرق الأوسط وجديد مخطوطات الشرق الأوسط.

- *Manuscripts of the Middle East*- Leiden. 1986-

- *Nouvelles des Manuscrits du Moyen-Orient*- Paris. 1991

تاريخ النصوص

تعتبر دراسة النصوص ونقدها من أهم ميادين البحث في المخطوطات العربية، وهذا اعتمادا على المقاربات التي أفرزتها دراسات دوفراس⁽¹⁹⁾ (Devresse) وراينولدز⁽²⁰⁾ (Reynolds) وباسكولي⁽²¹⁾ (Pasquali) حول نقد النصوص اليونانية واللاتينية. ومن بين الدراسات التي اعتمدت على قراءات جديدة للمخطوطات العربية انطلاقا من معطيات النصوص الإخبارية وبرامج العلماء ووصولاً لتفحص جميع النسخ المخطوطة حول نص معين نشير إلى:

- Adam Gacek, « Technical practices and recommendations recorded by classical and post-classical Arabic scholars concerning the copyng and correction of manuscripts », *Les manuscrits du Moyen-Orient*, Istambul/Paris, 1989, p. 51-60.
- R. Rozenhal, « The Technique and Approach of Muslim Scholarship », *Anelcta Orientalia*, 24, Vatican, 1974.
- Geneviève Humbert, « Le Kitāb de Sibayhi d'après l'autographe d'un grammairien andalou du XII^e siècle », *Le manuscrit arabe et la codicologie*, éd. Ch. Bennebine, Rabat, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, 1994, p. 9-20.

كما ظهرت للوجود العديد من الدراسات حول تاريخ نص واحد من خلال مجموعة من المخطوطات، بمعنى الانطلاق من معطيات كتب التراجم وبمقارنتها بملوكيات كتب البرامج والفهارس قبل البحث الدقيق في مختلف المخطوطات للتعرف على كيفية انتقال نص من النصوص أو كتاب من الكتب. وهذا المجال نجد به العديد من الدراسات التي أنجزت إما في إطار الدراسات العربية أو الإسلامية ومن بينها أشير إلى دراسات إيمبار وستارن:

- Geneviève Humbert, *Les voies de la transmission du Kitāb de Sibawayhi*, Leiden, E. J. Brill, 1995.
- S. M. Stern, « Some Noteworthy Manuscripts of the Poems of Abu'l-'Ala' al-Ma'arrī », *Oriens*, 7, (1954), p. 322-347.

التواصل في علم المخطوطات (La codicologie)

كان للدراسة التقنية للمخطوطات العربية الحظ الأكبر في مجال علم المخطوطات خصوصا خلال العشرين سنة الأخيرة، وهي المدة التي سأحاول إبرازها في هذه الأسطر. فقد نظمت على الأقل أربعة ملتقيات وطاوله مستديرة في هذا المجال في الفترة الممتدة من 1986 إلى

1994⁽²²⁾. كما تعقد سنويا ورشات متخصصة في تكوين الطلبة والباحثين في الدراسات العربية والإسلامية، ومن أهم أعمال الملتقيات المنشورة نشير إلى:

- *Scribes et manuscrits du Moyen-Orient*, Paris, 15-17 juin 1994. éd. F. Déroche, F. Richard, Paris, Bibilithèque nationale de France, 1997.
- *The Codicology of Islamic Manuscripts*, London, 4-5 december 1993. Ed. London, al-Furqân Islamic Heritage Foundation, 1995.
- *Ancient and Medieval book Materials and Techniques*, Erice, 18-25 septembre 1992. Ed. M. Maniaci, P. Munafo, Cetta del Vaticano, Biblioteca apostolica vaticana, 1993.
- *Les manuscrits du Moyen-Orient: essais de codicologie et de paléographie*, Istanbul, 26-29 mai 1986. Ed. F. Deroche, Paris, Bibliothèque nationale de France et Centre national de la recherche scientifique, 1986.
- *Recherche de codicologie comparée: la composition du codex au Moyen-Age en Orient et en Occident*, Table ronde, Paris, 5-6 décembre 1990. Ed. P. Hoffmann, Paris, Presses de l'Ecole normale supérieure, 1998.

من المواضيع المطروقة في ميدان علم المخطوطات نجد مصطلحات المخطوط العربي (vocabulaire) وقد اختص بهذا الميدان آدم جاسك⁽²³⁾ (Adam Gacek)، وقد علمت أنه كان يصدر تحضير قاموس لمصطلحات المخطوط العربي خلال الفترة الوسيطة.

وسائل الكتابة (les matériaux)

تعتبر وسائل الكتابة من أهم الميادين التي تناولها علم المخطوطات في الغرب خلال القرن العشرين، وقد تراوحت بين دراسة البردي، وورق الجلود والورق.

1- دراسات حول أوراق البردي (papyrus): أهم مجموعة لأوراق البردي العربية توجد بمدينة فيينا النمساوية وقد فهرسها كراباسك (Karabacek) سنة 1894⁽²⁴⁾. المجموعة الكبرى من أوراق البردي نشرها كارل باكر وجروهمان تم تبعة في ذلك جورج خوري، لبناني يعمل كأستاذ لتاريخ الأدب العربي في جامعة هيدلبرغ (Heidelberg) بألمانيا، ويوسف راغب، باحث مصري في معهد البحث وتاريخ النصوص بباريس.

- Carl Becker, *Veröffentlichungen aus der Heidelberger Papyrussammlung, Papyrus Schott-Reinhardt*, Heidelberg, 1906.
- A. Grohmann, *Arabic Papyri in the Egyptian Library*, 1934-1959, 6 vol.
- Id, *From the World of Arabic papyri*, Le Caire, 1952.

- Georges Khouri, *Chrestomathie de papyrologie arabe*, Leyde, 1993.
- Youssef Ragheb, « L'écriture des papyrus arabes aux **premiers** siècles de l'Islam », *Revue du monde musulman et de Méditerranée*, 58, (1990-4), p. 4-29.
- Id, « Les plus anciens papyrus arabes », *Annales islamologiques*, XXX, (1996), p. 1-19.
- Id, *Marchands d'étoffes du Fayyoun au III^e /IX^e siècle d'après leurs archives*, Le Caire, Institut français d'archéologie orientale, 1982-1997.
- G. Khan, « Arabic papyri », *The Codicology of Islamic Manuscripts*, p.1-16.

وقد رافقت عملية فهرسة ونشر أوراق البردي العربية، دراسات تقنية خصوصا من طرف الباحث المصري الأصل يوسف راغب، الذي يعتبر من أحسن المختصين حاليا في هذا الميدان بباريس رفقة جورج خوري أستاذ جامعة هيدلبرغ بألمانيا⁽²⁵⁾.

2- **الجلود (parchemin)**: أجريت عدة دراسات حول المخطوطات المكتوبة على رقائق الجلد خصوصا المصاحف القديمة التي سبقت إدخال الورق الصيني إلى دار الإسلام، ومن بين هذه الدراسات نشير إلى:

- François **Déroche**, F. Richard, « Du parchemin au papier: remarques sur quelques manuscrits du Proche-Orient », *Recherches de codicologie comparée, op. cit.*, p. 183-197.
- François **Déroche**, « L'emploi du parchemin dans les manuscrits islamiques: quelques remarques liminaires », *The Codicology of Islamic Manuscripts*, p. 17-57.
- Gerard Endress, « Pergament in der Codicologie des Islamisch-arabischen Mittelalters », *Pergament, Geschichte, Struktur, Restaurierung, Herstellung*, éd. P. Rock, Sigmaringen, 1991, p. 45-46.

3- **الورق**: تناولت العديد من الدراسات المحسوبة على علم المخطوطات نوعية الورق المستعمل في مختلف نواحي دار الإسلام، وكذا كيفية إعداد الصفحة وعمل الناسخين، وتقنيات الزخرفة والتجليد. لا نستطيع أن أشير هنا إلى كل هذه الأعمال الكثيرة ولهذا سأكتفي بالإشارة إلى مثال واحد فقط من كل صنف:

في ميدان الورق:

- Geneviève Humbert, « Papiers non filigranés utilisés au Proche-Orient jusqu'en 1450: essai de typologie », *Journal asiatique*, 286, (1998), p. 1-53.

في ميدان الكتابة:

- J. Grand'Henri, « Les signatures dans les manuscrits arabes chrétiens du Sinaï », *Recherche de codicologie comparée*, p. 199-204.

إعداد الصفحة:

- V. Polosin, « Arabic Manuscripts: text density and its convertibility in copies of the same work », *Manuscripta orientalia*, 3, (1997), p. 3-15.

عمل الناسخ/دراسة حول ناسخي المخطوطات:

- Geneviève Humbert, « Copie à la peca à Bagdad au IX^e siècle ? », *Gazette du Livre médiéval*, 12, (1988), p. 12-15.

تقنيات التغليف:

- Adam Gacek, « Introduction of the art of bookbinding attributed to the Rasulid ruler of Yemen al-Malik al-Muzaffar », *Scribes et manuscrits du Moyen-Orient*, p. 57-63.

تقنيات الزخرفة:

- V. Polosin, « Frontispieces on scale canavas in Arabic manuscripts », *Manuscripta orientalia*, 2, (1995), p. 5-19.

الخاتمة: تراجع الاهتمام بالمخطوط العربي

في ختام هذه الدراسة يمكننا أن نلاحظ أن الغرب الفكري قد أولى اهتماما كبيرا بالتراث العربي المخطوط لأغراض علمية وثقافية، وهذا للتمكن من معرفة الآخر لتوجيهه والتحكم فيه. لقد أرسى الغرب طوال مدة ستة قرون قواعد علمية متينة لجمع ونشر ودراسة المخطوطات العربية وهذا بناء على عقلانية علمية وروح نقد متميزين. لقد ساهمت العلوم الاجتماعية إلى حد كبير في تطور علم نقد النصوص وعلم المخطوطات وهذا ما أدى في النهاية إلى معرفة العديد من النقاط المتعلقة بالكتاب العربي المخطوط.

بالرغم من الأزمة التي عرفتتها الدراسات الاستشراقية عقب انهيار الإمبراطوريات الاستعمارية واستقلال الدول الإسلامية، فإن المخطوط العربي واصل مسيرته في ميدان البحث العلمي، ويظهر

هذا جليا من خلال الدراسات التي أشرنا إليها سابقا. وتعتبر المدرسة الألمانية الرائدة بدون منازع في هذا الميدان⁽²⁶⁾.

تراجع التيار الغربي المهتم بالدراسات التراثية في السنوات الأخيرة نتيجة السياسة الجديدة التي تبنتها الحكومات الغربية في تعاملها مع العالم الإسلامي، بسبب بروز ظاهرة الحركات الإسلامية، ولهذا فإن تيار الاستشراق المعاصر قد فضل على مثيله التراثي، وأصبحت الوجوه المهمة بحاضر الإسلام تحظى بدعم السلطة السياسية لإعطاء الحلول اللازمة لمواجهة "الخطر الإسلامي". ولكن رغم هذا فإن العديد من المراكز ما زالت تحاول الحفاظ على تجربتها مع المخطوطات العربية، رغم رحيل أو تقاعد الجيل السابق الذي استفاد من ظروف الفترة الاستعمارية.

ليس هناك مجال للمقارنة مع تطور الدراسات البيزنطية والغربية في ميدان المخطوطات، بعدما أنشئت شبكات أوروبية للمخطوطات البيزنطية والمخطوطات والوثائق المتعلقة بأوروبا الغربية في الفترة الوسيطة. وهذه الشبكات متوفرة على الأنترنت وتسمح بتفريغ الآلاف من الوثائق والنصوص المخطوطة.

The West and the Arabian Manuscripts: Reading of an Experience

Allaoua Amara, Faculty of Art and Human Sciences, Prince Abd-Alqader University, Constantine, Algeria.

Abstract

The west knew the Arabian manuscripts since the military and commercial expansion by the end of the 10th century. The getting hold of these manuscripts allowed the Westerns to constitute the very first collections of Arabian manuscripts in West from the 16th century. The Arabian manuscript constituted the most important tool to understand and comprehend the Islam. However from the 19th century, the setting up of catalogs began, in order to localize manuscripts in the world; followed of the diffusion of the codicology. The history of texts of after several manuscripts and the survey of writing materials came to tie up the works of the 20th century.

وقبل في 2007/11/22 قدم البحث للنشر في 2007/2/20

الإحالات

- (1) مصطلح الاستشراق (orientalisme) استعمل لأول مرة سنة 1799 في المجلة الموسوعية (*Magazine encyclopédique*) واعترفت به الأكاديمية الفرنسية سنة 1835. ميلاد هذا الاسم يدل على مدى تطور الاهتمام بالثقافات الشرقية موازنة مع تفاقم الظاهرة الاستعمارية. انظر:
- Marcel Boisard, *L'humanisme de l'Islam*, Paris, Unesco, 1985 ; Edward Saïd, *L'orientalisme: l'Orient créé par l'Occident*, Paris, Seuil, 1980 ; Maxime Rodinson, *La fascination de l'Islam*, Paris, La Découverte, 1989.
- (2) Abdallah Laroui, *Islam et modernité*, cité par Rabah Saddek, « L'Islam dans l'orientalisme français » dans *al-Mun'ataf*, 14, (1988), p. 1-22.
- (3) مفيد الزيدي, " الاستشراق والتراث العربي المخطوط نحو منهجية علمية " اليرموك, 71 (2001), ص 15.11.
- (4) حول الاستشراق المعاصر يرجى تصفح العدد الخاص من مجلة العالم العربي في البحث العلمي (Mars) التي يصدرها معهد العالم العربي بباريس:
- Orientalismes et altérité*, Mars, 4, (1994), p. 7-94.
- (5) ناصر الدين سعيدوني, " نظرة في قضية الاستشراق " ضمن الجرائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية, بيروت, دار الغرب الإسلامي, 2000, ص 463.
- (6) يعتبر معهد البحث في تاريخ النصوص بباريس من أهم المراكز الغربية المختصة في دراسة المخطوطات. فقد تأسس سنة 1937 ويضم فروعاً مختلفة تغطي التاريخ الغربي، واليوناني والعربي والعبراني. المصدر: نسخة تعريفية منشورة على شبكة الأنترنت، ص 1.
- (7) Hicham Djaït, *L'Europe et l'Islam*, Paris, Seuil, 1978, p. 27-40.
- (8) من بين أهم مجموعات المخطوطات التي تمتلكها المكتبة الوطنية في باريس، أشير إلى: مجموعة أسلين دو شرفيل Asselin de Cherville التي تضم 1515 مخطوط تم اقتنائها عام 1833.
- مجموعة شفير Schefer وتضم 791 مخطوط تم اقتنائها عام 1897.
- المصدر: نشریات تعريفية بالمخطوطات على موقع المكتبة الوطنية بباريس

- (9) Cf. P. M. Holt, « The Study of Arabic Historians in Seventeenth Century England: the background and the work of Edward Pococke » in *Bosnas*, XIX-3, (1957), p. 443.
- (10) Abdesslam Cheddadi, « L'Islam comme objet d'histoire en Occident musulman du XV^e à la première moitié du XX^e siècle » dans *Hespéris-Tamuda*, XXXIII, (1995), p. 74-75.
- (11) طبع القرآن الكريم لأول مرة بفنيسيا (البندقية) سنة 1537، و طبع بهامبورغ بألمانيا سنة 1694، كما طبع كتاب القانون في الطب لابن سينا بروما سنة 1593. كل هذه الطباعات تشترك في وجود الكثير من الأخطاء اللغوية والإملائية. للمزيد من التفاصيل ينظر محسن مهدي، "من عصر المخطوطات إلى عصر المطبوعات" الكتاب في العالم الإسلامي، سلسلة عالم المعرفة، 297، أكتوبر 2003، ص 17-32. للمزيد من المعلومات حول المخطوطات العربية التي نشرت بأوروبا، راجع:
- V. Chauvin, *Bibliographie des ouvrages arabes ou relatifs aux Arabes, publiés dans l'Europe chrétienne de 1810 à 1885*, Liège, 1822-1922 ; Josée Balagna, *L'imprimerie arabe en Occident (XVI, XVII et XVIII^e siècles)*, Paris, Maisonneuve et Larose, 1984 ; Id, *Inventaire des livres imprimés arabes*, Paris, Bibliothèque nationale, 1986.
- (12) حول بدايات استعمال الورق لدى المسلمين، انظر ما كتبه ابن النديم، الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، بيروت، دار المعرفة، 1994، ص 35-36.
- (13) لقد نشر كارل بروكلمان العديد من فهارس المخطوطات العربية قبل عمله الضخم حول التراث العربي المخطوط ومن بين الفهارس التي نشرها أشير إلى فهرسته للمخطوطات العربية والفارسية والتركية والملغاشية **والقبطية** والسريانية والأثيوبية بمكتبة هامبورغ: *Katalog der Orientalischen Handschriften der Stadtbibliothek zu Hamburg*, Hamburg, Otto Meissners Verlag, 1908.
- (14) Claude Cahen, « Notes pour un Brocklmann futur » rééd. de quelques notes dans *Introduction à l'histoire du monde musulman médiéval VII^e – XV^e siècle*, Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient, 1982, p. 64.
- (15) معظم الإحصائيات حول عدد المخطوطات العربية بالدول الغربية تبقى تقريبية، وهذا الجدول يستند أساسا إلى مقال "المخطوطات العربية في العالم" لمأمون مصطفى حربا، مجلة الوحدة، السنة الثامنة، عدد 97، 1992، ص 81-96.

- (16) فهرس مخطوطات مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتبكتو، إعداد سيدي عمر بن علي، تحرير جوليان يوهانسين، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1995.
- (17) فهرس مخطوطات دار الوثائق القومية النيجيرية بكادونا، إعداد بابا يونس محمد تحقيق وإتمام جون هنويك، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1995.
- (18) 52, rue du Cardinal Lemoine, Paris 75005.
- (19) *Introduction à l'étude des manuscrits grecs*, Paris, Imprimerie nationale, 1954.
- (20) *Scribes and Scholars, A guide to the transmission of Greek and Latin Literature*, traduit en français, C. Bertrand et P. Petitmengin: *D'Homère à Erasme, la transmission des classiques grecs et latins*, Paris, CNRS, 1988.
- (21) *Storia delle tradizione e critica del testo*, Firenze, Felice Le Monnier, 1952.
- (22) يبقى علم المخطوطات ودراسة تاريخ النصوص ناقصا في الكثير من البلدان العربية رغم ظهور دراسات مرجعية حول الخطوط والمخطوط من الناحية الفنية. وقد بدأ الاتجاه منذ مدة نحو تطبيق هذه المقاربات على مخطوطات علم من العلوم التي عرفتها الحضارة الإسلامية. أنظر على سبيل المثال أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1998، مصطفى طوبي، "مخطوطات النحو بالخزانة الحسنية بالرباط: مقارنة كوديكولوجية" أفاق الثقافة والتراث، العدد 55، (2006)، ص 192-199.
- (23) Cf. « Arabic bookmaking and terminology as portrayed by Bakr al-Ishbīlī in his *Kitāb al-taysīr li šinā'at al-tafsīr* » dans *Manuscripts of the Middle East*, 1990.
- (24) *Papyrus Erzherzog Rainer, Führer durch die Ausstellung*, Wien, 1894.
- (25) سبق لي وأن التقيت بهذين المختصين في باريس عدة مرات، ولاحظت اهتمامهما الشديد وتنافسهما في ميدان علم أوراق البردي.
- (26) أنظر حول المدرسة الألمانية في ميدان الدراسات الإسلامية:
- Baber Johansen, « Politics, Paradigms and the Progress of Oriental Studies: The German Oriental Society (Deutsche Morgenländische Gesellschaft) 1845-1989 » dans *Le monde arabe dans la recherche scientifique – Mars-*, 4, (1994), p. 79-94.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

ابن النديم، (أبو الفرج محمد بن اسحاق)، **الفهرست**، تحقيق ابراهيم رمضان، بيروت، دار المعرفة، 1994.

أيمن فؤاد سيد، **الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1998

فهرس مخطوطات مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتنبتكو، إعداد سيدي عمر بن علي، تحرير جولييان يوهانسين، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1995.

فهرس مخطوطات دار الوثائق القومية النيجيرية بكادونا، إعداد بابا يونس محمد تحقيق واتمام جون هنيوك، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1995.

الزبيدي (مفيد)، "الاستشراق والتراث العربي المخطوط نحو منهجية علمية"، اليرموك، 71 (2001)، ص 15.11.

المأمون مصطفى حربا، "المخطوطات العربية في العالم"، **مجلة الوحدة**، السنة الثامنة، عدد 97، 1992، ص 81-96.

سعيدوني (ناصر الدين)، "نظرة في قضية الاستشراق"، ضمن الجزائر منطلقات وأفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000، ص 463.

طوبي (مصطفى)، "مخطوطات النحو بالخرانة الحسنية بالرباط: مقاربة كوديكولوجية"، **آفاق الثقافة والتراث**، العدد 55، (2006)، ص 192-199.

المصادر والمراجع الأجنبية

Anzuini (Carlo Alberto), *I Manoscritti Coranici della Biblioteca Apostolica Vaticana e delle Biblioteche Romane*, Città del Vaticano, Biblioteca Apostolica Vaticana, 2001.

Arabiche, Türkische und Persische Handschriften der Universitätsbibliothek in Bratislava, Bratislava, Die Universitätsbibliothek, 1961.

- Arberry (Arthur J.), *A Handlist of the Arabic Manuscripts*, Vol. VI, mss. 4501-5000; Dublin; Hodges, Figgis and CO, 1963.
- Balagna (Josée), *Inventaire des livres imprimés arabes*, Paris, Bibliothèque nationale, 1986.
- Balagna (Josée), *L'imprimerie arabe en Occident (XVI, XVII et XVIII^e siècles)*, Paris, Maisonneuve et Larose, 1984
- Boisard (Marcel), *L'humanisme de l'Islam*, Paris, Unesco, 1985.
- Brockelmann (Carl), *Katalog der Orientalischen Handschriften der Stadtbibliothek zu Hamburg*, Hamburg, Otto Meissners Verlag, 1908.
- Brockelmann (Carl), *Geschichte der Arabischen Literatur*, 2 vol. Leyde, 1902-1932 ; supplément, 3 vol. 1937-1942.
- Cahen (Claude), « Notes pour un Brockelmann futur » rééd. de quelques notes dans *Introduction à l'histoire du monde musulman médiéval VII^e –XV^e siècle*, Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient, 1982
- Chauvin (V.), *Bibliographie des ouvrages arabes ou relatifs aux Arabes, publiés dans l'Europe chrétienne de 1810 à 1885*, Liège, 1822-1922
- Cheddadi (Abdesslam), « L'Islam comme objet d'histoire en Occident musulman du XV^e à la première moitié du XX^e siècle » dans *Hespéris-Tamuda*, XXXIII, (1995), p. 74-75.
- Devresse, *Introduction à l'étude des manuscrits grecs*, Paris, Imprimerie nationale, 1954.
- Documents de l'Institut de Recherche et d'Histoire des Textes (IRHT), publiés sur le site internet du cnrs.fr
- Gacek (Adam), *Catalogue of Arabic Manuscripts in the Library of the Institute of Ismaili Studies*, Londres, Islamic Publications, 1984.
- Hicham Djaït, *L'Europe et l'Islam*, Paris, Seuil, 1978, p. 27-40.
- Holt (P. M.), « The Study of Arabic Historians in Seventeenth Century England: the background and the work of Edward Pococke » in *Bosoa*, XIX-3, (1957), p. 443.
- Johansen (Baber), « Politics, Paradigms and the Progress of Oriental Studies: The German Oriental Society (Deutsche Morgenländische Gesellschaft) 1845-1989 » dans

Le monde arabe dans la recherche scientifique –Mars-, 4, (1994), p. 79-94.

Les manuscrits du Moyen-Orient: essais de codicologie et de paléographie, Istanbul, 26-29 mai 1986. Ed. F. Deroche, Paris, Bibliothèque nationale de France et Centre national de la recherche scientifique, 1986.

Löfgren (Oscar) and Traini (Renato), *Catalogue of the Arabic Manuscripts in the Biblioteca Ambrosiana*, Neri Pozza Editore, vol. I, 1992.

Manuscripta Orientalia, International Journal for Oriental Manuscript Research-Saint Petersburg. 1995-2006.

Orientalismes et altérité, *Mars*, 4, (1994), p. 7-94.

Pasquali, *Storia delle tradizioni e critica del testo*, Firenze, Felice Le Monnier, 1952.

- Rebstock (Ulrich), *Sammlung arabischer Handschriften aus Mauretanien*, Wiesbaden, Otto Harrassowitz, 1989.

- Rebstock (Ulrich), R. Osswald und A. Wuld 'Abdalqadir, *Katalog arabischer Handschriften aus Mauretanien*, Beirut, 1988.

- Reynolds, *Scribes and Scholars, A guide to the transmission of Greek and Latin Literature*, traduit en français, C. Bertrand et P. Petitmengin: *D'Homère à Erasme, la transmission des classiques grecs et latins*, Paris, CNRS, 1988.

- Rodinson (Maxime), *La fascination de l'Islam*, Paris, La Découverte, 1989.

- Roper (Geoffrey), *World Survey of Islamic Manuscripts*, London, Al-Furqan Islamic Heritage Foundation, 1992-1994.

- Saddek (Rabah), « L'Islam dans l'orientalisme français » dans *al-Mun'aṭaf*, 14, (1988), p. 1-22.

- Saïd (Edward), *L'orientalisme: l'Orient créé par l'Occident*, Paris, Seuil, 1980.

- *The Encyclopaedia of Islam II*, Leiden, Brill, 1956-2000.